علامات حسن الخاتمة وأسباب سوء الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : ... فإن الأيام تُطوى ، والأهلة تتوالى ، والأكفان تنسج ، والأعمال تدون ، والموعد يقترب.
أجيال تفد إلى الدنيا كل يوم ، وأجيال ترحل عنها، والغفلة تستحكم على كثير من القلوب ؛ حتى غدا أكثر بني آدم يبنون دنياهم ويهدمون أخراهم.
ها هي جموع المسلمين لا تتمعر وجوههم إذا انتهكت محارمُ الله ؛ لكنهم يغضبون إذا انتقص شيء من دنياهم ، إلا من رحم الله وقليل ما هم.
فالتاجرُ منهم ينظر إلى الربح ولا ينظر إلى طريقة التحصيل أحرامٌ هي أم حلال! والموظف يستيقظ فزعاً لعمل الدنيا لكنه ينام عن عمل الآخرة! والمرأة تخلت عن كثير من حجابها ، وارتكبت كثيراً مما يسخط ربها! والأسرةُ المسلمة هَمُّها أن لا ينتقص شيء من وسائل عيشها الكريم ، ولا أن تمسَّ رفاهيتها بسوء.
وأما همُّ الإسلام وهمُّ الآخرة فليس في الحسبان إلا عند قليل ممن لم تأخذهم دوامة المادية المعاصرة وبعضٌ مما نرى من أعمال الخير ما كانت لأجل الله والدار الآخرة ؛ وإنما هي لأجل الدنيا ومن الشرك إراد الإنسان بعمله الدنيا، وقليل ثم قليل أولئك المخلصون الصادقون.

من يعتبر ؟! ينقضي هذا العامُ وكأن أيامه لم تكن شيئاً مذكوراً اثنا عشر شهراً، بدأ هلالُ الواحدِ منها ضعيفاً ثم أخذ يكبر حتى صار بدراً، ثم أخذ في الضعف حتى تلاشى، ثم تبعته الشهور الأخرى حتى تم ميقاتها، وانقضى أجلها، وتمت السنة !! ما أسرع الأيام !وما أكثر العصيان !وما أقل الاعتبار !والإنسان يمضي في هذه الدنيا كما مضت تلك الشهور.

لو سألت الشيخ الكبير عن شبابه وطفولته لحدثك عنها، وأخبرك أنها مرت سريعاً، وتجد أن أمله لا يزال طويلاً، والشاب نسي طفولته وأمّل في مزيد من العيش، وإن طال به العمر ليبكين شبابه.

وهكذا الدنيا، ولكن أين العقلاء والمعتبرون ؟ !هل يكفي طول العمر؟

إن العبرة ليست بطول العمر، وإنما هي بحسن العمل، هل صحب الجاهُ أهلَ الجاه إلى قبورهم ؟ وهل كان المال مع أهل المال في لحودهم ؟!
يا لفوز من صلح ظاهره وباطنه ، فختم له بحسن عمله، ويالخسارة من فسد باطنه فختم له بالسوء.
ذلك أن من مات على شيء بعث عليه كما روى جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (يبعث كل عبدٍ على ما مات عليه) رواه مسلم
✉وفي قصة الرجل الذي سقط عن راحلته في عرفة أخبر الرسول عليه الصلاة والسلام أنه يبعث يوم القيامة ملبياً ، وأخبر أن الشهيد يبعث يوم القيامة وجرحه يدمى : اللون لون الدم ، والريح ريح المسك. (صيد الفوائد)

✉**معنى حُسن الخاتمة**: هو أن يوفَّق العبدُ قبل موته إلى الإقلاع عمَّا يُغضب الله -عز وجل- والتَّوبة والنَّدم من الذنوب والمعاصي، والإقبال على الطَّاعات وأعمال الخير، والاستقامة عليه حتى يأتيه الموت وهو على هذا الحال .الألوكة

✉**أسباب حسن الخاتمة:**

إن الله - عزّ وجلّ -غني عن عباده، فمن أطاع الله فقد نفع نفسه، ومن عصاه فقد ضرّ نفسه، وإن الأعمال الصالحة هي السبب في كل خير في الدنيا والآخرة، وأفضل الأعمال وأعظمها عند الله هي أعمال القلوب؛ كالإيمان، والتوكل، والخوف، والرجاء، وكل ما يصدر من الأعمال على الجوارح يكون تابعاً ونابعاً من القلب، ومن وفّقه الله للأعمال الصالحة في آخر حياته؛ فقد كتب له حسن الخاتمة، وهذه هي غاية الصالحين، فالتوفيق لحسن الخاتمة يُسعد المؤمن سعادة لا شقاء بعدها.

✉**ذكر بعض أسباب التوفيق للخاتمة الحسنة:**

❶ النية الصالحة والإخلاص لله تعالى، فهما سبب قبول الأعمال عند الله.

❷ المحافظة على أداء الصلوات، قال رسول الله: (مَن صلَّى البردَينِ دخَل الجنةَ) رواه بخاري (والبردين هما: الفجر والعصر).

❸الإيمان والإصلاح، سواء كان الإصلاح للنفس أو للغير.

❹ تقوى الله – تعالى -في السرّ والعلن، ويكون التقوى بفعل كل ما أمر الله به، واجتناب ما نهى عنه، اجتناب الكبائر من الذنوب، قال تعالى: (إِن تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا)31 النساء

❺اتّباع هدي النبي صلّى الله عليه وسلّم.

❻ الابتعاد عن ظلم الناس والبغي والعدوان عليهم في أنفسهم وأموالهم وأعراضهم.

❼ إحسان الظن بالله، والالتجاء إليه، والتوكل عليه حق التوكل، ولا يكون التوكل على الله فقط في أمور الدنيا من كسب الرزق ونحوه فحسب، وإنما في الثبات على الدين، والتوفيق إلى الطريق المستقيم.

❽ التضرع إلى الله، والإلحاح في الدعاء بصدق وإخلاص أن يختم الله للعبد على خير، وأن يرزقه حسن الخاتمة.

(الشيخ علي الحذيفي بتصرف يسير).

جُمْلَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ

(ذكرها الشيخ الألباني في كتابه أحكام الجنائز) بتصرف

❶مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ أَنْ يَقُولَ الْإِنْسَانُ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ: ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ))، فَفِي الْحَدِيثِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: (مَنْ كَانَ آخِرَ كَلَامِهِ مِنَ الدُّنْيَا لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ).

فَالنُّطْقُ بِالْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، كَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، مِفْتَاحِ دَارِ السَّعَادَةِ، وَهِيَ كَلِمَةُ ((لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ))، النُّطْقُ بِهَا قَبْلَ الْوَفَاةِ، (يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ) 27إبراهيم

وَأَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ آخِرَ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ الْإِنْسَانُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا عَلَامَةٌ مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَتَّبَ عَلَى النُّطْقِ بِهَا فِي هَذِهِ الْحَالِ دُخُولَ الْجَنَّةِ.

❷وَمِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ أَنْ يَمُوتَ الْمُسْلِمُ بِرَشْحِ الْجَبِينِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ (أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَمُوتُ بِعَرَقِ الْجَبِينِ -بِرَشْحِ الْجَبِينِ -)، فَإِذَا كَانَ الْإِنْسَانُ فِي حَالَ السِّيَاقِ -فِي حَالِ الِاحْتِضَارِ وَهُوَ يَعْرَقُ -وَيَعْرَقُ جَبِينُهُ عَرَقًا غَزِيرًا-فَهَذَا مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخَاتِمَةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ أَنَّ الَّذِي يَمُوتُ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ هُوَ الْمُؤْمِنُ.

❸وَبَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخِتَامِ: أَنْ يُقَيِّضَ اللهُ – تَبَارَكَ وَتَعَالَى - لِلْعَبْدِ عَمَلًا صَالِحًا وَيَقْبِضَهُ عَلَيْهِ.

عن أبي أُمامة -رضي الله عنه -قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (إذا أرادَ اللهُ بعبدٍ خيرًا طهَّرَهُ قبلَ موتِه قالُوا: وما طَهُورُ العبدِ؟ قال: عملٌ صالِحٌ يُلهِمُهُ إيّاهُ حتى يَقبِضَهُ عليهِ) صحيح الجامع

فِي آخِرِ عُمُرِهِ يُقَيِّضُ اللهُ –تَبَارَكَ وَتَعَالَى-لَهُ عَمَلًا صَالِحًا؛ يُؤَذِّنُ فِي الْمَسْجِدِ، يَخْدِمُ فِيهِ مُتَطَوِّعًا، يَسْعَى فِي الصُّلْحِ بَيْنَ النَّاسِ، يَأْمُرُ بِالسُّنَّةِ، يَلْتَزِمُ بِهَا وَيَدْعُو إِلَيْهَا، يَأْتِي بِأَيِّ عَمَلٍ صَالِحٍ مِمَّا يُحِبُّهُ اللهُ وَيَرْضَاهُ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، وَيَقْبِضُهُ اللهُ –تَبَارَكَ وَتَعَالَى - عَلَى هَذَا الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

❹مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخِتَامِ: أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ مُجَاهِدًا فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ مُرَابِطًا فِي سَبِيلِ اللهِ، أَوْ أَنْ يَخْرُجَ مِنْ بَيْتِهِ لِلْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ فَيُقْبَضُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ، فَكُلُّ هَذَا وَعَدَ اللهُ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- عَلَيْهِ الْحُسْنَى.

الموت رِبَاطاً في سبيل الله؛ عن سلمان الفارسي -رضي الله عنه - قال: (رِباطُ يَومٍ ولَيْلَةٍ خَيْرٌ مِن صِيامِ شَهْرٍ وقِيامِهِ، وإنْ ماتَ جَرَى عليه عَمَلُهُ الذي كانَ يَعْمَلُهُ، وأُجْرِيَ عليه رِزْقُهُ، وأَمِنَ الفَتّانَ). رواه مسلم

الرِّباطُ يَعني مُلازمَةَ المكانِ الَّذي بَينَ المُسلمينَ والكُفَّارِ لِحراسةِ المُسلمينَ، وهُو مِنَ الأعمالِ الَّتي يُضاعِفُها اللهُ عزَّ وجلَّ حتَّى تَكونَ أَفضلَ مِنَ الصِّيامِ والقيامِ، وفي هذا الحديثِ أنَّ مَنْ رابطَ يومًا وليلةً في سَبيلِ اللهِ كانت له أَفْضَلَ مِن صِيامِ شهرٍ تطوُّعًا وقيامِهِ، وأنَّ المُرابطَ في سَبيلِ اللهِ لو ماتَ على تلك الحالِ كَتَبَ اللهُ له مِنَ العملِ ما كان يَعمَلُ إلى يومِ القيامَةِ، وأنَّ المُرابطَ إذا ماتَ أُجريَ عليه رزقُه إلى يومِ القيامَةِ، فيكونُ عندَ ربِّه منَ الأحياءِ الَّذين يُرزَقون عِندَ ربِّهم، وأَرْواحُهم في حَواصِلِ طَيرٍ خُضرٍ تَأكُلُ مِنَ الجَنَّةِ حيثُ شاءَتْ. وفيه أنَّ المرابطَ يَأمَنُ الفَتَّانَ، أي: سؤالَ المَلَكين في القَبرِ؛ لأنَّه قد فُتِنَ في الحياةِ بتَحمُّلِ المَخاطِرِ وأَلَمِ القَتلِ في سَبيلِ اللهِ. الدرر السنية

⇦شَهِيدُ الْمَعْرَكَةِ، وَمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى-؛ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا؛ هَذَا شَهِيدُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ هَذَا يُكَفَّنُ فِي ثِيَابِهِ، لَا يُغَسَّلُ وَلَا يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَيَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجُرْحُهُ يَخْرُجُ مِنْهُ رِيحُ الْمِسْكِ؛ كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ أَنَّ اللَّوْنَ لَوْنُ الدَّمِ.

ثُمَّ بَيَّنَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْوَاعًا مِنَ الشُّهَدَاءِ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ، وَلَيْسُوا مِمَّنْ مَاتَ فِي الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا فِي سَاحَةِ الْمَعْرَكَةِ كَانَ الصَّحَابَةُ أَنْفُسُهُمْ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ- لَا يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مِنَ الشَّهَادَةِ، لِأَنَّهُمْ لَمَّا سُئِلُوا عَنِ الشَّهِيدِ، قَالُوا: الَّذِي يَمُوتُ فِي الْمَعْرِكَةِ، فَقَالَ: (إِنَّ شُهَدَاءَ أُمَّتِي قَلِيلٌ).

❺وَمَنْ مَاتَ مَطْعُونًا -أَيْ بِالطَّاعُونِ - فَهُوَ شَهِيدٌ ، قال ﷺ: (الطاعون شهادة لكل مسلم)رواه بخاري

عنْ أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قالَ: قالَ رَسُولُ اللَّه ﷺ: الشُّهَدَاءُ خَمسَةٌ: (المَطعُونُ، وَالمبْطُونُ، والغَرِيقُ، وَصَاحبُ الهَدْم وَالشَّهيدُ في سبيل اللَّه) متفقٌ عليهِ.

❻والمبطون شهيد

يَعْنِي الَّذِي يُصَابُ فِي كَبِدِهِ فَيَمُوتُ بِهِ، أَوْ فِي كُلْيَتَيْهِ فَيَمُوتُ بِذَلِكَ، الَّذِي يَأْتِيهِ سَرَطَانٌ فِي الْأَمْعَاءِ، أَوْ فِي الْمُسْتَقِيمِ، أَوْ فِي الْمَثَانَةِ، أَوْ فِي الْبُرُوسْتَاتَا أَوْ مَا أَشْبَهَ، يَعْنِي مَا كَانَ مِنْ أَمْرٍ يَكُونُ مُؤَدِّيًا إِلَى الْمَوْتِ فِي الْبَطْنِ، فَإِنَّ مَنْ صَبَرَ عَلَى ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ -تَبَارَكَ وَتَعَالَى -وَاحْتِسَابًا عِنْدَ اللهِ مَا لَهُ مِنَ الْأَجْرِ الْحَسَنِ؛ فَهُوَ شَهِيدٌ.

❻السِّلُّ: هُوَ السُّلُّ، يَعْنِي الْمَسْلُولُ الَّذِي يُصِيبُهُ السُّلُّ غَالِبًا فِي رِئَتَيْهِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((صَاحِبُ السِّلِّ شَهِيدٌ))؛ ، فَإِنَّهُ إِذَا مَاتَ بِذَلِكَ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَيْضًا شَهِيدًا كَمَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

❼ الغريق شهيد والمحروق شهيد وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (الْغَرِقُ شَهِيدٌ، وَالْحَرِقُ شَهِيدٌ) صحيح ابن ماجه؛
يَعْنِي مَنْ مَاتَ غَرَقًا فَهُوَ شَهِيدٌ أَيْضًا، وَمَنْ مَاتَ مَحْرُوقًا فَهُوَ شَهِيدٌ أَيْضًا.

❽ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ((صَاحِبُ الْهَدْمِ شَهِيدٌ))؛ يَعْنِي الَّذِي يَسْقُطُ عَلَيْهِ جِدَارٌ، يَسْقُطُ عَلَيْهِ السَّقْفُ، يُهْدَمُ عَلَيْهِ الْبَيْتُ، فَيَمُوتُ؛ هُوَ شَهِيدٌ، قَالَ ﷺ: ((صَاحِبُ الْهَدْمِ شَهِيدٌ)).

❾وَالَّذِي يُدَافِعُ عَنْ مَالِهِ، عَنْ عِرْضِهِ، يُدَافِعُ عَنْ دَمِهِ، هَذَا أَيْضًا إِذَا مَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَأَمَّا مَنْ اعْتَدَى عَلَيْهِ فَهَذَا قَاتِلٌ، يُحَاسِبُهُ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - حِسَابَ الْقَاتِلِينَ الْمُعْتَدِينَ.

عَنْ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: ((مَنْ قُتِلَ دُونَ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دِينِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ دَمِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ، وَمَنْ قُتِلَ دُونَ أَهْلِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ)) صححه الألباني

❿فَالْمَرْأَةُ تَمُوتُ فِي أَثْنَاءِ الْوَضْعِ أَوْ تَمُوتُ فِي أَثْنَاءِ النِّفَاسِ -يَعْنِي قَبْلَ أَنْ تَطْهُرَ مِنْ نِفَاسِهَا-، (يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: إِنَّ وَلَدَهَا يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَارًّا لَهَا بِسَرَرِهِ -يَعْنِي بِالْحَبْلِ السُّرِّيِّ- حَتَّى يُدْخِلَهَا الْجَنَّةَ) رواه أحمد وقال الألباني حسن صحيح ، السَّرَرُ هُوَ الْحَبْلُ السُّرِّيُّ.

قال النَّبِيُّ ﷺ (والمرأةُ تموتُ بِجُمْعٍ شَهادَةٌ - يعني الحامِلَ-)صحيح ابن ماجه

⓫مِنْ عَلَامَاتِ حُسْنِ الْخِتَامِ أَنْ يَمُوتَ الْإِنْسَانُ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَنْ مَاتَ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ أَوْ فِي يَوْمِهَا وَقَاهُ اللهُ فِتْنَةَ الْقَبْرِ). حسنه الشيخ الألباني

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ (ما مِن مسلمٍ يموتُ يومَ الجمعةِ أو ليلةَ الجمعةِ إلَّا وقاهُ اللَّهُ فِتنةَ القبرِ) رواه الألباني

كُلُّ هَؤُلَاءِ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ لَهُمْ مَقَامًا عِنْدَ اللهِ بِشَرْطِ أَنْ يَمُوتُوا عَلَى التَّوْحِيدِ وَالصَّبْرِ عَلَى مَقَادِيرِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ، مُتَّبِعِينَ لِلنَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ،فَإِذَا آتَى اللهُ عَبْدًا خَيْرًا، فَأَمَاتَهُ بِعَلَامَةٍ مِنْ تِلْكَ الْعَلَامَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا الرَّسُولُ ﷺ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ دَلَائِلِ أَنَّ اللهَ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - قَدْ أَحْسَنَ خَاتِمَتَهُ.

📄 ينشغل كثير من النّاس بما سيكون عليه حالهم إذا جاءهم الموت، وما سيتبع ذلك من أحوال وأهوال، والمسلم الحقّ يطمئنّ بلقاء الله تعالى، فلن يجد إلّا ما قدّم من عملٍ صالحٍ، أمّا من لم يُقدّم من الأعمال إلّا القليل، ولم يستجب لأوامر الله تعالى، واتّبع هواه، فإنّه سيبقى في حالة خوفٍ وترقُّبٍ وهلعٍ ممّا سيكون عليه حاله بعد وفاته، وقد وعد الله - تعالى- من اتّبع رضوانه بحُسن الخاتمة والنجاة من العذاب، وتوعّد من لم يقم بما أمره الله به من فرائض، أو ارتكب ما نهى عنه من نواهٍ بسوء الخاتمة، واستحقاق العذاب له بعد ذلك، فما المقصود بسوء الخاتمة؟

✉سوء الخاتمة على رتبتين:

إحداهما أعظم من الأخرى، فأما الرتبة العظيمة الهائلة فهي أن يغلب على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله إما الشك وإما الجحود، فتقبض الروح على تلك الحالة، فتكون حجاباً بينه وبين الله تعالى أبداً، وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد.

والثانية: وهي دونها أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا أو شهوة من شهواتها، فيتمثل ذلك في قلبه، ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة متسع لغيره، فإذا اتفق قبض الروح في حالة غلبة حب الدنيا، فالأمر خطير، لأن المرء يموت على ما عاش عليه. يقظة أولي الاعتبار.

📄أسباب سوء الخاتمة كثيرة، نذكر منها على الإجمال:

والشك والجحود والتعبد بالبدع، تسويف التوبة، عدم الاستقامة على الطاعة، طول الأمل، حب الدنيا، صحبة الأشرار، مخالفة الباطن الظاهر، تعلق القلب بغير الله، سوء الظن بالله، الإصرار على الذنوب والمعاصي، نسيان الآخرة وعدم ذكر الموت، الظلم (رحلة إلى الدار الآخرة).

⇦وكذلك الأمن من مكر الله عز وجل كأن بعضهم آتاهم الله ميثاقاً أن لا يعذبهم والغفلة عن ذكر الله عز وجل، والنفاق والرياء وحب السمعة وغير ذلك من العلامات.

📄نذكر بعض أسَباب سوء الخاتمة بتصرف كما ذكرها (صديق حسن خان) يقظة اولي الاعتبار:

❶منها الفساد في الاعتقاد:

فإن كل من اعتقد شيئاً على خلاف ما هو عليه إما نظراً برأيه وعقله أو أخذاً ممن هذا حاله فهو واقع في هذا الخطر، ولا ينفعه الزهد والصلاح، وإنما ينفعه الاعتقاد الصحيح المطابق لكتاب الله وسنة رسوله، لأن العقائد الدينية لا يعتد بها إلا ما أخذت منهما.

قد ينكشف له في حال سكرات الموت بطلان ما اعتقاده ،مثل من يعتقد أن شتم الصحابة رضوان الله عليهم من الدين، ومن ينكر السنة يقولوا نحن قرانين، يردوا كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ،ومن يرفضوا تحكيم شرع الله ،ويعتقدوا ان الحكم الوضعي خير منه ، فيكون من الذين قال الله تعالى فيهم : (وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) [الزمر : 47] وقال في آية أخرى : (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) [الكهف : 103-104] .

❷**ومنها الإصرار على المعاصي:** فإن من له إصرار على معصية يحصل في قلبه إلفها، فيتقيد قلبه بها، وتصير حجاباً بينه وبين ربه، وسبباً لشقاوته في آخر حياته.

والذي يرتكب ذنباً ويتوب منه فهو بعيد عن هذا الخطر، وأما الذي يرتكب ذنبا يصرعليه ويتعلق به، فهذا في خطر عظيم جداً، إذ قد يكون غَلَبَةُ الإلف بهذا الذنب سبباً لأن يتمثل في قلبه صورته، ويقع منه ميل إليه، وتقبض روحه عليه فيكون سبباً لسوء خاتمته.

ومن كان ميله إلى الطاعات أكثر، يكون أكثر ما يحضره عند الموت ذكر الطاعات، وخاصة الطاعة التي تعلق قلبه بها، يكرمه الله ويقبض روحه وهو يتعبده بها، تنزع روحه وهو يتلوا كتابه أو ساجد، أو طائف في بيته، أو واقف يناجيه يوم عرفة ...وغيره مما هو مشاهد بيننا.

ويعرف ذلك بمثال، وهو أن الإنسان لا شك أنه يرى في منامه من الأحوال التي ألفها طول عمره، وهذا معلوم للناس يعيشونه.

قال الذهبي في الكبائر: " قال مجاهد: ما من ميت يموت إلا مُثِّل له جلساؤه الذين كان يجالسهم، فاحتضر رجل ممن كان يلعب بالشطرنج، فقيل له: قل: لا إله إلا الله. فقال: شاهك. ثم مات. فغلب على لسانه ما كان يعتاده حال حياته في اللعب، فقال عوض كلمة التوحيد: شاهك.
وهذا كما جاء في إنسان آخر ممن كان يجالس شُرَّاب الخمر أنه حين حضره الموت، فجاءه إنسان يلقنه الشهادة، فقال له: اشرب واسقني، ثم مات، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

❸**ومنها العدول عن الاستقامة**: فإن كان مستقيماً في ابتدائه ثم تغير عن حاله وخرج مما كان عليه في ابتدائه يكون سبباً لسوء خاتمته، كإبليس الذي كان في ابتدائه رئيس الملائكة ومعلمهم وأشدهم اجتهاداً في العبادة، ثم لما أمر بالسجود لآدم أبى واستكبر وكان من الكافرين ، وكبلعام بن باعوراء الذي آتاه الله آياته فانسلخ بإخلاده إلى الدنيا ، واتبع هواه وكان من الغاوين ، وكبَرْصِيصا – عابد من بني إسرائيل- الذي قال له الشيطان : اكفر ، فلما كفر ، قال : إني بريء منك إني أخاف الله رب العالمين ، فإن الشيطان أغراه على الكفر ، فلما كفر تبرأ منه مخافة أن يشاركه في العذاب ، ولم ينفعه ذلك ، كما قال تعالى : (فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء الظَّالِمِينَ) [الحشر : 17] .

❹**ومنها ضعف الإيمان :** فإن كان في إيمانه ضعف يضعف حب الله تعالى فيه ، ويقوى حب الدنيا في قلبه ، ويستولي عليه بحيث لا يبقى فيه موضع لحب الله تعالى ، إلا من حيث حديث النفس بحيث لا يظهر له أثره في مخالفة النفس ، ولا يؤثر في الكف عن المعاصي ، ولا في الحث على الطاعات ، فينهمك في الشهوات ، وارتكاب السيئات ، فتتراكم ظلمات الذنوب على القلب ، فلا تزال تطفيء ما فيه من نور الإيمان مع ضعفه ، فإذا جاءت سكرات الموت يزداد حب الله ضعفاً في قلبه لما يرى أنه يفارق الدنيا ، وهي محبوبة له ، وحبها غالب لا يريد تركها ، ويتألم من فراقها ، ويرى ذلك منه الله تعالى ، فيخشى أن ينقلب ذلك الحب الضعيف بغضاً ، فإن خرجت روحه في تلك الحالة يكون رأس قلبه منكوساً إلى الدنيا ، ووجهه مصروفاً إليها ، ويحصل بينه وبي ربه حجاب .
حُكي أن سليمان بن عبد الملك لما دخل المدينة حاجاً قال : هل بها رجل أدرك عدة من الصحابة ؟ قالوا : نعم ، أبو حازم ، فأرسل إليه ، فلما أتاه قال : يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ؟ قال : إنكم عمرتم الدنيا وخربتم الآخرة ، فتكرهون الخروج من العمران إلى الخراب ، قال : صدقت ، ثم قال : ليت شعري ما لنا عند الله تعالى ؟ قال : اعرض عملك على كتاب الله ، قال فأين أجده ؟ قال في قوله تعالى : (إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ - وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ) [الإنفطار : 13-14] .قال : فأين رحمة الله ؟ قال : رحمة الله قريب من المحسنين .
قال : يا ليت شعري كيف العرض على الله تعالى غداً ؟ قال : أما المحسن فكالغائب الذي يقدم على أهله ، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه ، فبكى سليمان حتى علا صوته واشتد بكاؤه ثم قال : أوصني ، قال إياك أن يراك الله تعالى حيث نهاك أو يفقدك حيث أمرك " .

⇦بقية الأسباب ليست من كتاب يقظة أولي الإعتبار

❺الإعراض عن الله سبحانه وتعالى، والصدود عن نُصح الناصحين، والاغترار بزُخرف القول، والإعراض عن أحكام الشريعة والتحايل عليها.

❻ مخالفة الظاهر للباطن؛ حيث يظهر العبد للنّاس بمظهرٍ يوحي بصلاحه، واستقامته، وملازمته للعبادة، وفي باطنه ما يُناقض هذا كلّه.

❻ كثرة الذنوب التي يرتكبها العبد، وكثرة ورودها على القلب حتّى تطغى عليه كلّه، ومن الأمراض التي تُفسد القلب: الرّياء، والغُرور، والغِشّ، والخِداع، والنفاق، وغيرها الكثير.

❼ تأجيل التّوبة؛ اغتراراً بطول الأمل.

علامات سوء الخاتمة لسُوء الخاتمة عدّة علامات، منها ما يأتي:

❶الامتناع عن النُّطق بالشهادتين.

❷السخط، والاعتراض على قضاء الله سبحانه وتعالى.

❸ التحدّث بالمحرّمات والسيّئات، وإظهار تعلّق القلب بها قولاً أو فعلاً.

فلا بد من التمسك بالكتاب والسنة، وتصحيح العقيدة، والبعد عن المعاصي، وتعجيلُ التوبة والصدقُ فيها، حتى يكرمنا الله بحسن الخاتمة، فهنيئا لمن عمر حياته بطاعة مولاه، فأدى صلاته وصام شهره وأخرج زكاة ماله وحج بيت الله تعالى وبَر والديه، ووصل رحمه وأحسن إلى جيرانه، وحسّن خُلقه مع الناس، وسعى في نشر الخير، وأكثر من ذلك حتى يُختمَ له بخاتمة خير.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنَّ رجلًا قالَ: يا رسولَ اللَّهِ أيُّ النَّاسِ خيرٌ؟ قالَ: مَن طالَ عمرُهُ، وحَسنَ عملُهُ، قالَ: فأيُّ النَّاسِ شرٌّ؟ قالَ: مَن طالَ عمرُهُ وساءَ عملُهُ) صححه الالباني

أفضلُ النَّاسِ مَن طالَ عُمرُه؛ فهو يَستَفيدُ بطُولِ عُمرِه في الزِّيادةِ مِن حَسَناتِه، وبحُسنِ العَملِ مِن الطَّاعاتِ واتِّباعِ أوامرِ اللهِ ورسولِه، وهذا يدُلُّ على سَعادةِ الدَّارَين والفوزِ بالحُسنَيَين، وحسن الخاتمة.

اللهم اجعل خير أعمالنا خواتمها، وخير أعمارنا أواخرها، وخير أيامنا يوم نلقاك، اللهم اغفر لنا ما مضى وأصلح لنا ما بقي، أسأل الله تعالى أن يصلح قلوبنا وأعمالنا، وأن يحسن خواتمنا، وأن يجعلنا ممن قبله ورضى عنه إنه سميع مجيب، والحمد لله رب العالمين.